معايير الجودة في التدريب... بوابة الرخصة المهنية

أ. إبراهيم بن عبدالله الشريف

متى نقول إن معايير الجودة هي بوابة الرخصة المهنية؟

نقول ذلك حين ندرك أن الرخصة ليست مجرد امتحان يُجرى في قاعة أو ورقة تُعلّق على الجدار، بل هي انعكاس لالتزام داخلي بمعايير تُحَوِّل التدريب من نشاطٍ عابر إلى مهنةٍ راسخة. فالجودة هنا ليست ترفًا ولا ديكورًا يُجمِّل العمل، وإنما هي البوابة التي لا يُفتح باب الرخصة إلا بالمرور من خلالها.

فالتدريب بلا جودة يشبه بناء بيتٍ على أرض رخوة؛ قد يلمع للحظة، لكنه سرعان ما يتصدع عند أول هزّة. أما حين يستند المدرب إلى معايير الجودة، فإن كل خطوة له تصبح محسوبة: أهدافه واضحة، محتواه منظم، أساليبه متوازنة، وقياس أثره دقيق. عندها فقط يمكن أن يُقال إن ما يقدمه ليس مجرد تجربة شخصية، بل ممارسة مهنية تستحق الاعتماد.

الرخصة المهنية، في جوهرها، ليست غاية بحد ذاتها، بل وسيلة لفرز الساحة وتحريرها من الفوضى. هي اختبار للأمانة قبل أن تكون اختبارًا للمعرفة، وميزان يزن التزام المدرب بما يَعِد به المتدرب. ومن هنا تأتي الجودة كبوابة؛ فمن التزم بها وجد الباب مفتوحًا، ومن تجاهلها بقي خارج الميدان مهما ادعى.

وإذا تأملنا العمق، نجد أن الجودة ليست معيارًا خارجيًا فحسب، بل هي وعي داخلي. فالمدرب الذي يضع في قلبه قيمة الأثر، ويزن كلماته بميزان المسؤولية، ويعتبر كل ساعة تدريبية عهدًا بينه وبين المتدرب، قد اجتاز بالفعل نصف الطريق نحو الرخصة. لأن الرخصة لا تُمنح لمن يحفظ الإجابات، بل لمن يعيش الجودة في تفاصيل عمله.

ولذلك، نقول إن معايير الجودة هي البوابة الحقيقية للرخصة، لأنها تضع المدرب أمام مرآة صادقة: هل ما أقدمه يستحق أن يُوثَّق ويُعتمد؟ هل برنامجي متين بما يكفي ليبقى أثره بعد انتهاء الجلسة؟ هل التزمت بالصدق قبل أن أبحث عن النجاح؟ هذه الأسئلة هي التي تحوّل الرخصة من شهادة إلى رسالة، ومن ورقة إلى عهد.

فالرخصة ليست إذن نهاية الطريق، بل بداية مرحلة أكثر وعيًا ومسؤولية. والجودة ليست شرطًا يُفرض من الخارج، بل قيمة تنبع من الداخل. وبين الرخصة والجودة، هناك جسر واحد: أن نختار أن نكون مهنيين لا هواة، وأن ندرك أن كل باب لا يُفتح بالجودة، سيظل موصدًا حتى وإن بدا واسعًا في عيون الغافلين.

خبير التدريب والتطوير المهني

أ/ إبراهيم بن عبدالله الشريف